أبو سليمان الخطّابى

٣١٩ — ٣٨٨ هـ

بقلم برهان الدين محمد الداغستانى

إذا تصفحنا كتب غريب الحديث المؤلفة بعد القرن الرابع الهجرى أو قرأنا شرحاً من شروح كتب الحديث المشهورة — وجدنا اسم الخطابى ورأيه بارزين واضحين ، يكفى لمن يريد تأييد رأى على آخر أن ينقل عن الخطابى مايؤيده كما يكفى من يريد الاحتجاج على أمر ما أن يذكر رأى الخطابى فيه حتى يتم له ما أراد

وقد درج الكثير من المؤلفين والرواة عنه على الاكتفاء عند ذكر اسمه بالخطابى ، وسواء أكان اقتصارهم هذا لشهرته عندهم أم لعدم معرفتهم اسمه الحقيق ، فقد كان سبباً من أسباب الخلاف الطويل حول اسمه الذى سمى به

وقد خدم الخطابى رحمه الله اللغة العربية وعلم الحديث بنوع خاص — بما كتبه فى غريب الحديث وإصلاح خطأ المحدثين وشرحى البخارى وسنن أبى داود — خدمة جليلة فوق ما كتبه فى فنون أخرى . حتى لقد أصبحت كتبه من بعده مصادر لمن أتى بعده يأخذ منها ويعتمد عليها ، غير أنّ أكثر كتبه مفقود الآن لا يعرف غير أسمائها ككثير من كتب الأقدمين من علمائنا الأعلام

وسأحاول — بقدر الامكان — أن أصور للقارئ الكريم صورة واضحة جلية لأبى سليمان الخطابى البستى فى هذه الكلمة الوجيزة

اسمه ومولده ونسبته

هو حمد (بفتح الحاء وسكون الميم) بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب الخطابى البستى ، كذا ذكره النووى فى طبقات الشافعية[1] والحافظ الذهبى فى تذكرة الحفاظ[2] وعبد الجبار الهروى فى تاريخ هراة والحاكم ابن البيع فى كتاب نيسابور[1] وابن خلكان فى وفيات الأعيان[2] والسبكى فى طبقات الشافعية[3] وهو الصواب وعليه المعول ، فقد سئل الخطابى نفسه عن اسمه فقال : « اسمى الذى سميت به حمد ولكن الناس كتبوه أحمد فتركته عليه . »

ووهم الثعالبى فى اليتيمة[4] وأبو عبيد الهروى صاحب كتاب الغريبين[5] والوزير المؤرخ جمال الدين القفطى[6] فى أنباه الرواة فى أنباء النحاة حيث سموه أحمد

ولد الخطابى فى رجب سنة تسع عشرة وثلثمائة بمدينة بُسْت (بضم الباء وسكون السين) وهى من بلاد كابل عاصمة الأفغان ، بين هراة وغزنة ، كثيرة الأشجار والأنهار ، وكما اختلف الذين ترجموا للخطابى فى اسمه كذلك اختلفوا فى نسبته . إلى من هذه النسبة « الخطابى » ؟ فياقوت فى ارشاد الأريب (معجم الأدباء[7]) ، والسيوطى فى بغية الوعاة[8] ، والسمعانى الانساب[9] يذكرون أنه من ذرية زيد بن الخطاب بن نفيل العدوى أخى عمر رضى الله عنه مقتصرين عليه ، بينما ابن خلكان والسبكى والشيخ محمد الأنصارى البهنسى فى الكافى[10] يقولون : إنه منسوب إلى جد أبيه الخطاب ، ثم يقولون : وقيل إنه من ذرية زيد بن الخطاب أخى عمر رضى الله عنه

شيوخه وتلاميذه

تفقه الخطابى على الامام الجليل محمد بن على بن اسماعيل القفال الشاشى الكبير[11] والقاضى الامام أبى على بن أبى هريرة[12]

(١) كتاب الطبقات للنووى مختصر من طبقات الشافعية لابن الصلاح ، مخطوط منه نسختان فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٢٠٢١) و(٦٢م) تاريخ

(٢) ج ٣ ص ٢٠٩

(١) نقلنا رأى الهروى والحاكم عن ياقوت فى معجم الأدباء

(٢) ج ١ ص ٢٠٨ (٣) ج ٢ ص ٢١٨

(٤) ج ٤ ص ٢٣٢ (٥) رأى الهروى هذا منقول عن معجم الأدباء

(٦) مؤرخ مصرى توفى سنة ٦٤٦ هـ وكتابه المذكور كتاب نفيس فى مجلدين كبيرين ، منه نسختان فى دار الكتب المصرية نسخة مأخوذة بالتصوير الشمسى تحت رقم (٢٥٧٩) وأخرى مخطوطة تحت رقم (٢٨٠١) تاريخ . انظر الجزء الأول منه ص (١٢٣) (٧) ج ٢ ص ٨١ وما بعدها

(٨) ص ٢٣٩ (٩) الوزقة (٢٠٢) (١٠) مؤرخ شافعى المذهب ولد سنة ٧٣٦ وتوفى فى حدود ٨٠٠ وكتابه الكافى فى تراجم الشافعية مخطوط فى دار الكتب المصرية تحت رقم (٩٠م) تاريخ

(١١) كان اماماً فى التفسير ، اماماً فى الحديث ، اماماً فى الكلام ، اماماً فى الأصول ، اماماً فى الفروع ، اماماً فى الزهد والورع ، اماماً فى اللغة والشعر ، ولد سنة ٢٩١ ، وتوفى سنة ٣٦٥ هـ (١٢) أحد عظماء الأصحاب من شيوخ الشافعية ، قال الرافعى : إن ابن أبى هريرة زعيم عظيم للفقهاء ، توفى فى رجب سنة ٣٤٥ هـ

وسمع الحديث من أبي سعيد بن الاعرابي بمكة [1] ، وأبي بكر بن داسة بالبصرة ، واسماعيل الصفار ببغداد [2] ، وأبي العباس الأصم بنيسابور ، وتأدب وأخذ اللغة عن أبي عمر محمد بن عبد الواحد اللغوي المعروف بغلام ثعلب [3] ، وسمع من أحمد بن سليمان النجار ، وأبي عمرو السماك ، ومكرم القاضي ، وجعفر الخلدي ، وأبي جعفر الرزاز وأخذ عنهم

وسمع من الخطابي وروى عنه الامام الفقيه شيخ العراق أحمد ابن محمد بن أحمد الأسفراييني ، والحاكم أبو عبدالله محمد بن البيع النيسابوري ، وأبو عبيد الهروي صاحب كتاب الغريبين ، وعبد الغفار بن محمد الفارسي ، وأبو القاسم عبد الوهاب بن أبي سهل الخطابي ، وأبو نصر محمد بن أحمد البلخي الفزنوي ، وأبو مسعود الحسين بن محمد الكرابيسي ، وأبو عمرو محمد بن عبد الله الزرجاهي وخلق كثير غيرهم

مكانته العلمية وثناء الناس عليه

كان الخطابي رحمه الله تعالى عالماً أديباً زاهداً ورعاً حسن التدريس والتأليف ، إماماً في اللغة والفقه والحديث ، ثقة متثبتاً من أوعية العلم ، حجة صدوقاً من كبار أئمة الشافعية . رحل في طلب العلم إلى العراق فسمع ببغداد والبصرة والحجاز وجال خراسان وخرج إلى ما وراء النهر ، كريماً يتجر في ماله الحلال وينفق على الصلحاء من إخوانه

قال أبو منصور الثعالبي : كان يشبه في عصرنا بأبي عبيد القاسم بن سلام في عصره [4] علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً إلا أنه كان يقول شعراً حسناً وكان أبو عبيد مفحما

وقال أبو المظفر السمعاني : كان الخطابي حجة صدوقاً رحل إلى العراق والحجاز وجال خراسان وخرج إلى ماوراء النهر ، وكان يتجر في ملكه الحلال وينفق على الصلحاء من إخوانه . وقال أيضاً : كان من العلم بمكان عظيم وهو إمام من أئمة السنة صالح للاقتداء به والاصدار عنه [1]

وقال الذهبي : كان ثقة متثبتاً من أوعية العلم قد أخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد ببغداد ، والفقه عن أبي علي بن أبي هريرة والقفال ، وله شعر جيد

وقال ابن خلكان . كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البديعة ، وعدد كتبه ثم نقل عبارة الثعالبي المتقدمة

وقال ياقوت : قد أخذ العلم عن كثير من أهله ورحل في طلب الحديث وطوف وألف في فنون من العلم وصنف

وقال النووي في طبقات الشافعية له : حمد بن محمد بن ابراهيم ابن الخطاب الفقيه الأديب أبو سليمان الخطابي البستي صاحب التصانيف المتداولة . قال الحاكم [2] أبو عبد الله الحافظ النيسابوري أقام عندنا بنيسابور سنين وحدث بها ، وكثرت الفوائد من علومه

وقال الشيخ شرف الدين البهنسي في الكافي : أبو سليمان الخطاب من الأئمة الأعلام المجتهدين في قواعد الأحكام . كان رحمه الله فقيهاً محدثاً أصولياً جمع بين الحديث والفقه ، ومد في تحقيق العلم باعاً مديداً ، وأحكم من مبانيه ركناً شديداً ، حتى قلد أعناق أهل العلم المنن

وأورد النووي في طبقات الشافعية هذه الأبيات الثلاثة :

أخ تساعد عني شخصه ودنا ... معناه مني فلم يظعن وقد ظعنا
أبا سليمان سر في الأرض أو فأقم ... بحيث شئت دنا مثواك أو شطنا
ما أنت غيري فأخشى أن تفارقني ... قد بت روحك يا روحي فانت أنا

وقال إنها لأبي الفتح علي بن محمد البستي قالها في أبي سليمان الخطابي ؛ وياقوت في معجم الأدباء ذكر البيتين الأخيرين هكذا :

أبا سليمان سر في الأرض أو فأقم ... فأنت عندي دنا مثواك أو شطنا
ما أنت غيري فأخشى أن تفارقني ... قد بت روحك بل روحي فانت أنا

وقال إنهما من شعر الثعالبي في الخطابي . والظاهر أن هذه الأبيات من شعر الثعالبي في شيخه وصديقه أبي سليمان ، فقد كانت بينهما صلة وثيقة نلمسها في شعر الخطابي نفسه الذي يقوله في

(١) أبو سعيد هذا محدث كبير ولد سنة ٢٤٦ ، وتوفي سنة ٣٤٠ هـ يروى عنه الخطابي من غير واسطة في كتاب العزلة بكثرة ، وهو غير ابن الاعرابي اللغوي الراوية المتوفى بسر من رأى سنة ٢٣٠ هـ فهذا يروى عنه الخطابي بواسطة أبي عمر الزاهد عن ثعلب عن ابن الاعرابي في كتاب اصلاح خطأ المحدثين وغيره مما لعباس باللغة (٢) هو اسماعيل بن محمد ابن اسماعيل بن صالح بن عبد الرحمن الصفار علامة في النحو واللغة ، صحب المبرد وروى عنه ، ولد سنة ٢٤٩ ، وتوفي سنة ٣٤١ هـ

(٣) هو للطرز اللغوي ولد سنة ٢٦١ وتوفي ٣٤٥ ببغداد ، ولكثرة ملازمته لثعلب المتوفى سنة ٢٩١ سمي غلام ثعلب

(٤) كان امام أهل عصره في كل فن من العلم ، فاضلا في دينه وعلمه ، ربانياً مفتناً في القرآن والفقه والأخبار والعربية ، حسن الرواية ، صحيح النقل ، مات بمكة سنة ٢٢٣ ، وقيل ٢٢٤ ، وقيل ٢٣٠ هـ

(١) روى الجزء الأول من كلام السمعاني ياقوت في معجم الأدباء في ترجمة الخطابي وروى السبكي في الطبقات الجزء الثاني نقلا عن كتاب القواطع في الأصول للسمعاني

(٢) أحد تلاميذ الخطابي ومن أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه ولد سنة ٣٢١ ، وتوفي ٤٠٥ هـ

الثعالبي بعد مفارقته ، فقد قال فيه :

قلبي رهين بنيسابور عند أخ ما مثله حين يستقرى البلاد أخ
له صحائف أخـــلاق مهذبة منها التقى والنهى والحلم ينتسخ

وفاته ورثاؤه

أكثر الذين أرخوا وفاة الخطابي يؤرخونها سنة ثمان وثمانين وثلثمائة من غير تعيين يوم أو شهر ، إلا أن الذهبي قال ليست في ربيع الآخر ، والسبكي يقول في ربيع الآخر من دون تعيين يوم ، وابن خلكان يقول كانت وفاته في شهر ربيع الأول

وجاء في معجم الأدباء : نقلت من خط أبي سعيد السمعاني قال نقلت من خط الشيخ ابن عمر توفي الامام أبو سليمان الخطابي ببست في رباط على شاطئ هندمند يوم السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر سنة ست وثمانين وثلثمائة ، ومع اختلافهم في سنة وفاته على ما سبق ذكره فهم متفقون على أنه توفي ببست كما اتفقوا على أنه ولد فيها أيضاً

* * *

ولما مات الخطابي رثاه تلميذه وصديقه أبو منصور الثعالبي فقال :

انظروا كيف تخمد الأنوار انظروا كيف تسقط الأقمار
انظروا هكذا تزول الرواسي هكذا في الثرى تغيض البحار

ورثاه أبو بكر عبد الله بن ابراهيم الحنبلي أيضاً فقال :

وقد كان حمداً كاسمه حمد الورى شمائل فيها للثناء مسامح
خلائق ما فيها معاب لعائب إذا ذكرت يوماً فهن مدائح
تغمده الله الكريم بعفوه ورحمته والله عاف وصافح
ولا زال ريحان الاله وروحه
قرى روحه ما حن في الأيك صادح

تآليفه :

ليس الخطابي من المكثرين في التأليف ولكنه من المجيدين فيما ألف . فمن تآليفه القيمة :

١ ـ « معالم السنن » في شرح سنن أبي داود[1] شرح فيه غريب اللغة وبين وجوه الأحكام التي تؤخذ من الأحاديث الواردة في السنن وذكر أقوال العلماء وآراء الفقهاء بلفظ جزل ، وأسلوب سهل ، وعبارة موجزة ، قال في مقدمته : « ورجوت أن يكون الفقيه إذا ما نظر إلى ما أثبته في هذا الكتاب من معاني الحديث ونهجته من طرق الفقه المتشعبة عنه دعاه ذلك إلى طلب الحديث وتتبع علمه ، وإذا تأمله صاحب الحديث رغبه في الفقه وتعلمه »

٢ ـ « غريب الحديث »[1] ذكر فيه مالم يذكره أبو عبيد ولا ابن قتيبة في كتابيهما وهو كتاب ممتع مفيد ، في غاية الحسن والبلاغة

(البقية في العدد القادم) بقلم العربي محمد الراغستاني

(١) منه نسخة مخطوطة في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب تحت رقم (٢٣٦) ونسخة أخرى في خزانة المرحوم أحمد تيمور باشا تحت رقم (٧٩) لغة ، تم نسخها سنة ١١٣٠ هـ

(١) طبعه أستاذنا العالم الباحث الشيخ محمد راغب الطباخ في مطبعته العلمية بحلب سنة ١٣٥١ هـ و ١٩٣٢ م معارضاً بعدة نسخ

وزارة المعارف العمومية

اعلان مسابقة

عن الحاجة إلى كتاب في المطالعة

للمدارس الابتدائية

تعلن الوزارة عن حاجتها إلى كتاب في المطالعة العربية لكل سنة من السنوات الأربع بالمدارس الابتدائية للبنين والبنات ، يستأنس في وضعه بالمنهج المتبع في هذه المدارس ، وآخر ميعاد لتقديم الكتب للوزارة هو ٣١ ديسمبر سنة ١٩٣٥ ، والكتب التي يقع عليها الاختيار ستقررها الوزارة ابتداء من سنة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ وتشترى حق تأليفها وفقاً للقرار الوزاري رقم ٣٧٥١ الذي يمكن طلبه من إدارة مخازن الوزارة أو الاطلاع عليه بها

والكتاب الذي تقرره الوزارة لمدارسها وتشترى حق تأليفه بعد أن تعد له لجنة الفحص تعديلاً ذا شأن ، سيخصم من مبلغ شراء حق تأليفه (المشار إليه بالقرار الوزاري) عشرون في المائة تمنحها الوزارة مكافأة للجنة على عملها ، أما الكتاب الذي يتقرر بغير تعديل أو بتعديل غير ذي شأن ، فلا تمنح اللجنة مكافأة عنه

وهذه المسابقة لا تلزم الوزارة بشيء ما قبل الموظفين ، وهي تعتبر معدلة للاعلان السابق نشره متضمناً الحاجة إلى كتاب للسنة الثالثة وحدها ٢